الشيخ محمّد باي بلعالم ومنهجه في شرح ملحة الإعراب للحريري

أ_ عبد الله عماري
مخبر الموروث العلمي والثقافي بمنطقة تمنراست
بالمركز الجامعي تامنغست
a.ammari1984@yahoo.com

ملخص :

سأحاول في هذه الدّراسة أن أصل إلى مدى اهتمام محمّد باي بلعالم التّواتي بملحة الإعراب للحريري البصري صاحب المقامات، وإلى منهجه في الشرح، مُقدّما في ذلك نبذة موجزة عن حياة الشيخ باي بلعالم، ومعرِّجا على التعريف بمختصر ملحة الإعراب، ومبينا كيف اهتم بها محمّد باي ،واضعاً في ذلك قراءة لمصنفه الذي عالج فيها الملحة؛ من حيث العنوان والموارد والمحتوى.

***

1/ حياة محمّد باي بلعالم (ت1430هـ)

أ - اسمه ومولده : هو محمد بن عبد القادر بن محمد بن المختار بلعالم الفلاني، المشهور بالشيخ باي ، من مواليد 1348هـ الموافق لـ1930م بقرية ساهل بمنطقة آولف، من بين خمسة ذكور لوالده عبد القادر الذي كان فقيها [1].

ب- دراسته ومشايخه : تربى ونشأ في أحضان أسرته بقرية ساهل، وبها تعلم مبادئ الفقه واللغة، على يد والده، والشيخ محمّد بن عبد الرحمن بن مكي بلعالم، لينتقل بعدها للتتلمذ على الشيخ مولاي أحمد الطاهري بقصر العلوشية في سالي، الذي جعل منه منارة في العلم والعمل بين الناس ، وبطلب من أهالي مدينة آولف انتقل إليها بعد إجازته من قِبل شيخه مولاي الطاهري، وجاء نص تلك الإجازة كما يلي :"...وبعد، فإن تلميذنا محمّد باي الفقيه الحاج محمّد عبد القادر الفلاني أصلحه الله لازمني في القراءة مدة، وقرأ من الفنون عدة ، وأخذ عني جلّة كتب؛ من شروح ومتون ، وسألني أن أجيزه ن فأقول : قد أجزته بكل ما تجوز لي به الرواية وما تلقيته عن أشياخي ضاعف الله أجورهم رواية ودراية، وبما لي من شرح وتقرير وتعليم وتحرير،

سائلاً من الله أن يوفقني وإياه، وأن يختم لي وله بصالح الأعمال، وبلوغ الآمال بمنه وكرمه، وأوصيه ونفسي بتقوى الله ومراعاة حقوق الأشياخ والسلام، وكتبه العبد الفقير الذليل الكسير الطاهر احمد بن إدريس لطف الله به آمين في 14شعبان سنة1373هـ " [2]، وبعدها تولى مهمة التدريس بحي الركينة المتواجد في مدينة آولف، أين وضع النواة الأولى لمدرسته العلمية المعروفة حالياً بمدرسة مصعب بن عمير .

ج- رحلاته : كان كثير التنقل والتجوال في شتى المناطق التواتية، ووضع كتاباً لتلك الرحلة في جزأين سماه بـ الرحلة العلية إلى منطقة توات، كما شدّ الرّحال إلى أصقاع عدة بحثاً عن الزّاد العلمي والمعرفي، حيث جال البلاد العربية والتقى بمشايخها وعلمائها، ومن هذه البلدان تونس ، والمغرب، وليبيا، والمملكة العربية السعودية التي واظب على ارتيادها سنوياً في مناسك الحج والعمرة منذ سنة 1974م بلا انقطاع، بعدما كانت حجته الأولى سنة 1964م، وصنَّف لهذه الرحلات كتابين هما : رحلات إلى الحجاز ،و رحلة إلى المغرب الأقصى، وكسب من تلك الرحلات علاقات وطيدة مع الكثير من العلماء والأعلام، فكانت له العودة في الفتوى وطلب المشورة[3] .

د – آثــاره : يعدُّ الشيخ محمّد باي من المكثرين في التأليف والتصنيف في شتى المعارف والعلوم ، ومن مؤلفاته نذكر :

01-علوم القرآن : الذي صنف فيه ما يلي :

- ضياء المعالم على ألفية الغريب لابن العالم : وهو شرح لألفية الغريب التي رأيناها سالفاً للشيخ بن العالم (ت1212هـ).
- المفتاح النُّوراني على المدخل الرّباني.

02-الحديث :ومن مصنفاته في هذا نذكر :

- كشف الدثار على تحفة الاثار.

03-الفقــه : وألف في هذا الجانب :

- فتح الرحيم المالك في مذهب الإمام مالك .
- الجواهر الكنـزية لنظم ما جُمع في العزيّة .
- السبائك الإبريزية على الجواهر الكنـزية.
- فتح الجواد على نظم العزية لابن بـاد .
- الكوكب الزهري نظم مختصر الأخضري.

- الإشراق البدري شرح الكوكب الزهري.
- المباحث الفكرية على الأرجوزة البكرية.
- أنوار الطريق لمن يرد حج البيت العتيق.
- زاد السالك شرح اسهل المسالك (جزأين)
- الاستدلال بالكتاب والسنة النبوية شرح على نثر العزية ونظمها الجواهر الكنـزية (جزأين).
- ملتقى الأدلة الأصلية والفرعية الموضحة للسالك على فتح الرّحيم المالك(أربعة أجزاء).
- إقامة الحجة بالدليل شرح على نظم بن بادي على مهمات من مختصر خليل (أربعة أجزاء).
- مرجع الفروع إلى التأصيل من الكتاب والسنة وإجماع الكفيل (عشرة أجزاء).

04-الفرائض :ونجد التالي :

- الدرة السنية في علم ما ترثه البرية .
- فواكه الخريف شرح بُغية الشريف .
- كشف الجلباب على جوهرة الطلاب.
- مركب الخائض على النيل الفائض.
- الأصداف اليمية شرح الدرة السنية .

05-أصول الفقه : وصنف في الأصول ما يلي :

- ركائز الوصول على منظومة العمريطي في علم الأصول.
- ميسر الحصول على سفينة الأصول.

06- النـحو العربي : ألف فيه الكتب التالية :

- اللؤلؤ المنظوم نظم مقدمة ابن آجروم: وهو نظم وضعه للآجرومية.
- كفاية المنهوم شرح اللؤلؤ المنظوم: وهو شرح لنظم مقدمة الآجرومية الذي وضعه ابن أُبّ.
- الرحيق المختوم شرح على نظم نزهة الحلوم: شرح لنظم نزهة الحلوم للشيخ محمّد بن أُبّ.

- التحفة الوسيمة على الدرة اليتيمة : هو شرح لأرجوزة النبهاني في النحو.
- منحة الأتراب على ملحة الإعراب: وهو شرح لملحة الإعراب للحريري ، وسنسلط الضوء عليه في هذا المقال .
- عون القيوم على كشف الغموم: شرح لكشف الغموم لمحّمد بن أُبّ.

07-السيرة النبوية : وصنّف فيها :

- فتح المجيب في سيرة النبي الحبيب .

08-فنون متنوعة :نجد ما يلي :

- انقشاع الغمامة والإلباس عن حكم العمامة واللباس من خلال سؤال سعيد هرماس.
- الرحلة العلية إلى منطقة توات (جزأين).
- قبيلة فلاّن في الماضي والحاضر وما لها من العلوم والمعرفة والمآثر.
- رحلات إلى الحجاز .
- رحلة إلى المغرب الأقصى .
- الغصن الداني في ترجمة وحياة الشيخ عبد الرحمن بن عمر التيِنِلاني .

هـ - وفاتـه : انتقل إلى رحمة ربه صباح يوم الأحد الثالث والعشرين من ربيع الثاني سنة ثلاثين وأربعمائة للهجرة (1430هـ)، الموافق لـ التاسع عشر من شهر أفريل من العام التاسع بعد الألفين للميلاد(2009هـ) ، وشُيعت جنازته في اليوم الثاني من الوفاة بمقبرة الجديد بمدينة آولف .

2 / منهج الشيخ محمّد باي في شرح ملحة الإعراب :

أ _ التعريف بملحة الإعراب للحريري: هي منظومة تعليمية[4] في النّحو والصرف ،جاءت في نحو 375 بيتاً من بحر الرجز المشطور المزدوج ،اعتنى بها الشارحون لتقريب ألفاظها وتسهيل معانيها ،ومن أبرز شارحيها الحريري نفسه، وابن الناظم[5] (ت686هـ)وابن الوكيل[6] (ت791هـ)، وجلال الدين السيوطي[7] (ت911هـ)،والفاكهي[8] (ت972هـ)، كما اهتم بها الشيخ باي بلعالم الفلاني في شرح نفيس سماه بـ : **منحة الأتراب شرح على ملحة الإعراب**، فما المقصود من وراء هذا العنوان ؟، وما هو المنهج الذي سار عليه في هذا الشرح ؟، وما هي الموارد التي انتقى منها مادته ؟، وما هو مضمون هذا الشرح ؟

ب _ منحة الأتراب شرح على ملحة الإعراب

قراء معجمية في العنوان : المنحة من المنْحِ؛ وهو العطاء وبابه قطع وضرب والاسم (المِنحة) بالكسر وهي العطية[9]، ومنحه الشاة والناقة يمنحه، ويمنحه أعاره أياها، والمنحة تكون في الأرض أيضاً، فيمنح الرجل أرضاً للآخر ليزرعها، ورجل منَّاح كثير العطاء، والمانح من المطر الذي لا ينقطع، والمانح من الإبل التي يبقى لبنها بعدما تذهب ألبان الإبل[10].

أما مصطلح الأتراب، فهو جمع أترب؛ والتِّرب بالكسر اللّذة وجمعه أترابٌ، والترائب هي عظام الصدر، وأترب الرجل صار له مالاً بقدر التراب، وأتربوا الكتاب بمعنى اهتموا به[11]، والترائب موضع القلادة من الصدر، وقيل مابين الثديين[12]، قال تعالى :"خُلِقَ مِن مَاءٍ دَافِقٍ يَخْرِجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ"[13]، وقال الفراء : صلب الرجل وترائب المرأة[14].

ومن خلال تلك القراء المعجمية في المعاجم اللغوية يتبين لنا أن محمد باي بلعالم من خلال عنوانه هذا، أراد أن يمنح ويعطي للمتعلمين والدارسين ألباناً سائغة الشراب استخرجها من بين دفتي وترائب منحة الإعراب .

المنهج المتبع في الشرح :

إن المنهج الذي سلكه الشيخ محمد بلعالم في شرحه هذا، يوضِّح كيف أنه وضع كتابه هذا لخدمة المتعلمين؛ فكان الأسلوب سلساً وواضحاً قريباً للاستيعاب والفهم .

وهذا المنهج ليس بغريب عليه؛ فهو المحدِّث والفقيه والأصولي، ولا يخف على ذي بالٍ مدى حرص المحدِّثين والفقهاء على ترتيب موضوعاتهم وتيسير قراءتها، ومن مظاهر الدِّقة والسهولة في منهجه هذا نذكر :

1/تحديد الموضوع والهدف منه : حيث بيّن لنا في مقدمة كتابه، بعد البسملة والصلاة والسلام على رسولنا الكريم، موضوع الإعراب وأهميته لدى طلاب اللغة العربية من خلال ملحة الإعراب كما بيّن لنا كذلك الهدف من هذه الملحة، حين قال :"... فإنه لا سبيل لفهم معاني السنة والكتاب إلاّ بعد معرفة الإعراب، ولما كانت ملحة الإعراب وسنحة الآداب من أجل ما ينتفع به الطلاب، وأجمل ما يثير الإعجاب، لكونها أزالت عن النحو الحجاب، وكشفت عنه النِّقاب وقشعت عنه الضباب"[15].

وفي تحديده للموضوع وعرضه نجده يتصف بالتواضع؛ وذلك عندما طُلب منه شرح الملحة في قوله :" وقد طلب مني بعض الأحباب أن نضع عليها شرحاً

يفتح منها الأبواب، ويُقربها للطلاب ،فأجبته وإن كنت لست أهلاً لمن يُحضر للسؤال الجواب، ولا مـمَّن يُميّز بين ما يستحسن وما يُعاب، فاستعنت برب الأرباب ،وسميته منحة الأتراب على ملحة الإعراب"[16] .

2/ نزوعه إلى تجنب التكلُّف والتأويل : إن القارئ لشرح محمد بلعالم يجده يميل إلى الوضوح في عرض مادته، ويبتعد عن مداخلة الكلام والتعسُّف، وكذا التكلُّف، والغرض من ذلك كله، هو محاولة الوصول إلى مُبتغاه بأيسر عبارة وأوضح لفظ .

3/ تفصيله وبيانه الكافي لمسائل النحو الواردة في ملحة الإعراب، تفصيل الواشي الماهر حين يقوم بوشي وتفصيل الثوب الجديد على لابسه، بحيث يصبح ثوباً حسنا جميلاً، ومهما تباعدت المسائل النحوية عن ذهن القارئ المتعلّم فإن الشيخ بلعالم وبغزارة علمه، وسعة فكره الثاقبة يُقرّبها إليه بأسلوب سهل وممتع، ونرى محمد باي يسلك في شرحه هذا مسلكاً وسطاً، فلم يختصره اختصاراً مُخلاً ولم يُطوِّله تطويلا مُملاً، وهو أسلوب العالم الماهر البارع في فنه وصنعته.

4/ ضبط المفردات اللُّغوية :حرص الشيخ حرصاً شديداً على ضبط المفردات اللغوية وقام بإيضاح معانيها، وشرحها وضبطها بالشكل، ونأخذ من أمثلة ذلك شرحه لمفردة(أقول) ؛التي استهل بها البيت الأول بقوله :

أقول من بعْدِ افْتِاَحِ القَوْلِ بِحَمْدِ ذِي الطَوْلِ سَدِيدُ الحَوْلِ[17]

حيث يقول محمد باي :"قوله (أقول) بصيغة المضارع الذي يعبر به المتكلّم عن نفسه من غير أن يشاركه غيره في القول، وماضيه (قال)، التي هي مادة القول، وأصل قال قَوَل، فتحرك حرف العلة وانفتح ما قبلها فقُلب ألِفاً فصار قال،كما أن أصل أقُولُ أقْوُلُ... استثقلت الضمة على الواو فنُقلت إلى الساكن الصحيح قبلها، فصار أقُولُ"[18] .

وهناك أمثلة كثيرة أوردها محمد باي على هذا المنوال، فلم يُغادر أي لفظة أو مفردة هي بحاجة إلى ضبط أو إيضاح إلاّ ضبطها وفسّرها بعبارات لا تحتمل اللبس .

5/ تدعيم شرحه بتنبيهات لتوضيح الفكرة للمتعلِّم، ونأخذ على سبيل المثال لا الحصر، عند شرحه لباب الترخيم، ختمه بتنبيه قال فيه :"وقد تقدّم لنا أن

المركب تركيب إسناد لا يُرخم ،وأما المركب تركيب مزج فإنه يُرخّم ،وترخيمه يكون بحذف عجزه... فتقول في (معدِ كربٍ) : يا معدِ ... "[19].

6/ أمانته العلمية وتحريه : يمتاز محمد باي _في التأليف_ بحرصه على الاستقصاء والإلمام بتفاصيل كل قضية يتصدّى لها ،وإيراد أقوال العلماء، ومناقشتهم ،وقد ساعده على ذلك همته وصبره ،وغزارة علمه وتمسكه بالعلوم النّقلية؛ التي تعتمد وعلى المأثور بطريقة ضم الأشياء إلى أشباهها :من حيث الآراء المفردة والموضوعات التي تدخل في نسقٍ واحد، فقد كان ذا اطلاع واسع على مصنفات العلماء وآرائهم واختلافاتهم، ويظهر ذلك جلياً حين يتناول مسألة نحوية فإنه يُخيَّل لمن يقرأها أنه لم يغادر كتاباً تحدّث عنها إلاّ أفاد منه، وهو فوق ذلك يُبدي رأيه مُناقِشاً ومُعلِّلاً ومُرجِّحاً، ونأخذ قولاً من أقواله في هذا الصدد:"... وأعلم أن المصدر المعنوي عند سيبويه منصوب بفعل مقدّر من لفظه،... ومذهب السيرافي والمازني وابن مالك أنه منصوب بالفعل المذكور، وعلى ذلك فالمصدر المعنوي مطّرد في كل ما خالف ناصبه ووافقه في المعنى ..."[20].

موارده في انتقاء المادة العلمية:

لقد تنوعت وتعدّدت المصادر اللغوية والنحوية، التي عاد إليها محمد باي بلعالم أثناء شرحة لملحة الإعراب، والواضح من ذلك أنه دار في فلك أساطين اللغة كأبي عمرو بن العلاء ،والخليل،و سيبويه ،والفرّاء، والأخفش، وثعلب، وأبي علي الفارسي، والزمخشري وغيرهم .

كما أنه لم يسِر في إفادته من المصادر والمراجع على طريقة واحدة، ومنهج ثابت، فقد تراه يذكر الكتاب الذي نقل عنه، أو يذكر المؤلف فقط، وأحيانا لا يذكر من ذلك شيئا، ويكتفي بقول :قيل، أو قال النُّحاة، أو قال بعضهم، أو قال بعض العلماء، أو ينسب القول إلى أهل اللغة أو أهل العربية، أو أهل البصرة، أهل الكوفة ...

وسأفصّل القول في موارده التي رجع إليها في شرحه :

1/ المصادر التي صرّح بأسمائها وأسماء مؤلفيها : ونعثر من ذلك على مؤلفاته فقط التي عاد إليها لتوضيح بعض المسائل وهي :

أ_ اللؤلؤ المنظوم : ورجع إليه الشيخ في حديثه عن الإعراب وعلاماته، فقال :"ولقد قُلت في نظمنا (اللؤلؤ المنظوم) في أنواع الإعراب ما يلي :

رَفعٌ ونَصْبٌ ثُمّ خَفْضٌ جُزِمَا أقْسَامُهُ أرْبَعَةٌ فالاسْمُ

قَدْ خَصّ بالثّلاثِ والجَزْمُ امْتَنَعْ فِي الاسْمِ والخفضِ من الفِعْلِ انْقَطَعْ"[21]

وفي حديثه عن المفعول لأجله، عاد أيضاً إلى نظمه فقال :"وقد قلت في نظمنا اللؤلؤ المنظوم :

الاسْمُ إنْ جـاءَ بَياناً لسَبَبْ وُقُـوع فِعلٍ أو لِعِلّـة نُسِب
فانْصِبْهُ بالمفعولِ منْ أجْلِهِ أوْ سَمِيهِ مَفْعولاً لَهُ كَما – رَوَوْا
كَـقُمْتُ إجْـلاَلاً لِقَوْمٍ بَرره وحَذَر المـوتِ أتى في البقره"[22]

ونجده مرّة أخرى يُدعم من نظمه في حديثه عن الحال في جواب كيف، إذ يقول :"... وهذا كقولنا في اللؤلؤ المنظوم : والحالُ فِي جَوَابِ كَيْفَ يَصْلُحُ إنْ قُلْتَ كَيْف جَاءَ يَوماً صَالِحُ ؟"[23].

وفي باب الاستثناء ،وأثناء حديثه على الاستثناء المُفرغ[24] يقول :"... وإلى هذا أشرنا بقولنا في اللؤلؤ المنظوم :

وَإنْ يَكُنْ نقْصٌ ونفيٌ وُجِدا فاجْرِ عَلى الفاعِلِ حيث أُسندا
نَحْو :مَا قَامَ إلاّ زيدٌ يَخْطُبُ وَمـَا رَأيتُ إلاّ عمْراً يَكتُبُ"[25].

ب _ الرحيق المختوم لنزهة الحلوم:وأشار الشيخ إلى مصنفه هذا في كلامه عن (إذن) الناصبة للفعل المضارع، فقال :"وقد بسطت الكلام على (إذن) في شرحنا الرحيق المختوم على نزهة الحلوم، وذكرت ما فيها من التفاصيل"[26]، وهذه التفاصيل التي يبينها في شرح الرحيق المختوم هي قوله :"... ويشترط في النصب بها ثلاثة شروط :أن يدخل على فعل مستقبل ،وأن تكون مقدمة ،وأن يعتمد ما قبلها على ما بعدها ،وفيها بعد حروف العطف الأمران والإلغاء أكثر ..."[27].

ج_ عون القيوم على كشف الغيوم :وعاد إليه أثناء حديثه عن حروف الجر ومعانيها، فقال:"... وبقية معانيها ذكرتها في شرحنا عون القيوم على كشف الغموم"[28].

2/ الأعلام التي صرّح بأسمائها فقط : وفي تتبعنا لمصنّف الشيخ باي وجدناه يُورد كلاماً لتدعيم الفكرة، وينسبه لصحابه مثل :

أ_ سيبويه :وقد أخذ عنه في مواطن نذكر منها :

_ أثناء حديثه عن (الـ) التعريف، هل هي بجملتها للتعريف أم أن همزتها همزة قطع، وحذفت في الوصل لكثرة الاستعمال، فأورد رأي سيبويه، وقال :"قال سيبويه هي اللام وحدها والهمزة وصل"[29].

_ في سياق كلامه عن المبتدأ والخبر، عرَّج عن العوامل المعنوية ،وأدلى برأي سيبويه في أن عامل رفع المبتدأ هو الابتداء؛ وهو عامل معنوي، فقال :"والرفع للمبتدأ هو الابتداء كما هو مذهب سيبويه "[30].

_ كما ورد اسم سيبويه كذلك في كلام محمد باي عن المصدر؛ وهو الأصل الذي اشتقت منه الأفعال والصفات، والمصدر – كما هو معلوم عند النّحاة – واجب النصب، سواء أكان مرافقاً لفعله في اللفظ أم موافقاً له في المعنى، نحو قعدت جلوساً، وفي هذا الصدد – الموافقة للمعنى – دعّم محمد باي رأيه برأي سيبويه الذي ينص على أن المصدر المعنوي لا ينصب بفعله، وإنما ينصب بفعل مُقدّر من لفظ فعله، فقال :"واعلم أن المصدر المعنوي عند سيبويه منصوب بفعل مُقدّر من لفظه"[31].

_ ونجد محمد باي في حديثه عن ترخيم المركب المزجي؛ الذي يُرخّم بحذف عجزه فنقول في (معد كرب) يا معدِ[32]، يُدعّم نصّه هذا بكلام سيبويه، فيقول :"وإن عمراً [33]، يعني سيبويه نقله، قال تقول في النسب إلى تأبط شر، يا تأبطَ"[34].

_ وفي حديثه عن الأسماء المبنية على الكسر، وهو يشرح كلام الناظم :

وَأمْسِ مَبْنِيٌّ عَلَى الكَسْرِ فَإنْ صُغِّرَ صَارَ مُعْرَباً عِنْدَ الفَطِنْ

نجده ينحاز لرأي الحريري في بناء (أمس) على الكسر، لكونها كذلك عند أكثر العرب، إلّا ما جاء في ضرورة الشعر[35]، واستدل في ذلك بقول سيبويه :"قد جاء في ضرورة الشعر (مُذْ أمسَ)
بالفتح"[36].

ب_ الخليل : وأشار إلى مذهبه في كلامه عن (الـ) التعريف، فقال :"اخْتُلِف في (الـ) فقيل :هي بجملتها بتعريف، وهمزتها همزة قطع، وحُذفت في الوصل لكثرة الاستعمال، وهو مذهب الخليل"[37].

ج _ ابن مالك: ونجد محمد بلعالم يرجع إلى ابن مالك في مواطن كثيرة نذكر منها:

_ ورد اسم ابن مالك في حديث الشيخ عن المعتل من الأسماء؛ الذي لا يحمل علامة الإعراب على الحرف الأخير (المنقوص والمقصور) ،فقال :"قال ابن مالك:

وَسَمِّ مُعْتَلاً مِنَ الأسْماءِ مَا كَالْمُصْطَفَى وَالْمُرتَقَى مَكَارِمَا"[38].

_ وفي باب الأسماء الملازمة للإضافة نجده يُورد كلاماً لابن مالك، فيقول:" ... ولقد أشار ابن مالك إلى بعضها ،فقال :

وَألْزِمُوا إضَافَة لَدُنْ فَجُرْ ونَصْبُ غُدْوةٍ بِهَا عَنْهُمْ نَدَرْ "[39] .

_ ونجده يرجع لابن مالك كذلك أثناء كلامه عن أسلوب التحذير والإغراء، فيقول :"وإلى (إيّا) أشار ابن مالك بقوله :

إيّاكَ وَ الشرّ وَنَحْوِهِ نصَبْ مُحَذّرٌ بِما اسْتَتَارَهُ وَجَبْ "[40].

د _ محمّد بن أبّ المُزمّري : ومن المواطن التي لجأ فيها إلى استحضار أقوال المزمّري نذكر :

_ أثناء كلامه عن المنادى المُرخّم، وفي غضون حديثه عن ترخيم (صاحب) أنها شاذة في القياس لكونها ليست عَلَماً ،استدلّ بقول محمّد بن أُبّ ،فقال :"... ومن الترخيم قول الشاعر ،وهو محمد بن أبّ التّواتي :

صَاحِ سَلِّم علَى النُّحاةِ وَسَلْهُم حَبَّذَا حبَّذَا هُـم إنْ أجَابُوا "[41].

_ وفي باب الجر كذلك ورد اسم ومحمّد بن أُبّ على لسان محمد باي بلعالم، مُستدلاً به عن معاني حروف الجر (من) ،فقال :"... وقد عدّ لها الشيخ محمّد بن أُبّ عشْراً من المعاني فقال :

مِنْ قَدْ حَوَتْ مِنَ المَعَانِي عَشَرَهْ دُونَكَهَا مَجْمُوعَةٌ مُحَرّرَهْ

بَعْضُ وَبَيْنَ وابْتَدَى فِي الأمْكِنَهْ بِهَا وَقَدْ تأتِي لِبَدْءِ الأزْمِنَهْ

وَنصَـصٌ وَعِلَـلُنْ وأبْـدِلاَ وَرَادَفَتْ بَاءٌ وفِي وَعَنْ عَلَى"[42]

هـ _ السيرافي والمازني : وورد اسمهما في الكلام عن المصدر المعنوي؛ الذي لا فعل له من لفظه مثل :حلفت يميناً ،حيث قال بلعالم :"ومذهب السيرافي والمازني وابن مالك أنه منصوب بالفعل المذكور ،وعلى ذلك فالمصدر المعنوي مطّردٌ في كلّ ما خالف ناصبه ووافقه في المعنى "[43].

3/ المصادر التي صرّح بأسمائها فقط :ونجد منها :

أ _ الجوهرة النحوية على شرح الأجرومية : رجع إليها الشيخ بلعالم لسرد حكاية في حروف المضارعة (نأيت) ،فقال :" ... وفي الجوهرة النحوية على شرح الأجرومية حكاية عن بعض أولاد ملوك سبتة رحمه الله تعالى وأعادها للإسلام، أنه طلب من الشيخ الغافقي أبي إسحاق الزجاج شارح "الجمل" أن يُعلمه وأن يلقي له ما يلقي لصغار الولدان، فقرأ عليه الجمل للشيخ أبي

إسحاق الزجاج حتى انتهى فقال له بجمعها قولك "نأيت" بتقديم النون على الهمزة ..."[44].

ب _ مختار الصحاح : ورجع الشيخ لهذا المعجم أثناء ضبطه لمصطلح (السَّمط)، فقال :"... والسّمْطُ :هو الخيط ما دام فيه الخرز، وإلاّ فهو سِلْكٌ، كذا في الصحاح"[45].

ج _ الخلاصة : وورد ذكر خلاصة ابن مالك في حديثه عن الاستثناء بخلا وعدا، فقال :"... والمشترك بينهما (خلا) و(عدا) ،قال في الخلاصة :

وَحَيْثُمَا جُرّا فَهْمَا حَرْفَانِ كَما هُما إنْ نُصِبَا فِعْلاَنِ"[46]

بمعنى إذا كان ما بعدهما مجروراً فهما حرفان، وإن كان ما بعدهما منصوباً فهما فِعلان .

محتوى الكتاب :

إنّ مُصنف محمد باي بلعالم هذا جاء تابعا وممتداً لعمل الحريري في ملحة الإعراب ،حيث اهتم بما جاء منظوماً في أبواب الملحة ،فشرحها وبسّط معانيها للمتعلمين ،بعبارات وألفاظ سلسة سهلة للاستيعاب كما مرّ بنا في المنهج المتّبع، وفيما يلي سنفصّل القول عن محتوى منحة الأتراب :

استهلّ شرحه بالبسملة والحمدلة، مع تبيين السبب الذي جعله يقدُمُ على هذا العمل، وبعد ذلك استعان بالله وسّمى مُصنفه بمنحة الأتراب على ملحة الإعراب، وطلب من الله التوفيق للصواب، وأثنى على الناظم ودعى له بحسن الثواب والمآل [47].

ليشرع مباشرة في شرح كلام الحريري :

أقُولُ مِن بَعْدِ افْتِتَاحِ القَوْلِ بِحَمْدِ ذِي الطُولِ شَدِيدُ الحَوْلِ[48]

وبعد ذلك نراه يبدأ بالحديث عن الكلام العربي وأقسامه، وهو باب الاستهلال في النحو العربي عند النُّحاة، فقال في شرحه لكلام الناظم عن باب الكلام :"قوله باب الكلام ،وهو المصطلح عليه عند النحاة، وحدُّه ما أفاد المستمع فائدة يحسن السكوت عليها، وذلك هو اللفظ المركب من كلمتين فأكثر إذا كان الكلام مُركباً من فعلٍ أو اسم ..."[49] .

فالمُلاحظ من خلال هذا الكلام، إن محمد بلعالم يُحاكي الأوائل من النحويين في تعريفهم للكلام العربي، وأقسامه، ونراه أيضاً يُشير إلى قضية التركيب بين أقسام الكلام؛ التي تعد شرطاً أساسياً من شروط الكلام العربي الذي يُحقّق الفائدة.

وكما هي الحال مع جميع المصنفات النحوية، بعد الحديث عن الكلام وأقسامه، بدأ الخوض في الحديث عن أقسام الكلام الثلاثة(الاسم والفعل والحرف)، وفصّل القول في ذلك تفصيلاً يليق بالمتعلم المبتدئ[50].

وبعد ذلك سلّط الضوء على باب الإعراب وعلاماته، مُعرِّجاً على إعراب الاسم المفرد المتصرف؛ الذي عرّفه بالتعريف المتعارف عليه في سائر أمهات الكتب النحوية، بقوله :"هو الاسم المتمكّن الأمكن الذي لم يشبه الحرف فيُبنى، ولا الفعل فيُمنع من الصرف "[51].

ومواصلة لحديثه عن إعراب الأسماء، نجده يطرق باب الأسماء الستة وشروط إعرابها ؛المتمثلة في الإفراد والتكبير والإضافة[52]، ليتناول بعد ذلك إعراب بقية الأسماء المتمثلة في المنقوص والمقصور، والمثنى والجمع الصحيح السالم بنوعيه المذكر والمؤنث، بالإضافة إلى إعراب جمع التكسير[53] .

وبعد ذلك شرع في شرح باب حروف الجر الذي يقول الحريري في مُستهلّه :

والجَرُّ فِي الاسْمِ الصَّحِيحِ المُنْصَرِفْ بِأحْرُفٍ هُنَّ إذَا مَا قِيل صِفْ
مِنْ وَإلى وَفِي وحتّى وَعَـــــلَى وَعَـــنْ وَمُنْذُ ثُمَّ حَاشَا وَخَلاَ
وَالبَاءُ والكَافُ إذا مـــــــا زِيدَا والـلاّمُ فَاحْفَظْهَا تَكُنْ رَشِيدَا
وَرُبَّ أيْضاً ثُمَّ مُذْ فِيـــما حَضَرْ مِنَ الزّمَانِ دُون مَا مِنْهُ غَبَرْ [54]

ليأتي الحديث عن حروف القسم[55]، المتمثلة في :الواو، والتاء، والباء، وبعدها مباشرة تناول باب الإضافة، حيث عرّفها في اللغة والاصطلاح[56] قبل أن يبدأ في شرح كلام الناظم :

وَقَدْ يُجَرُّ الاِسْمُ بِالإضَافهْ كَقَوْلِهِمْ دَارُ أبِي قُحَافَهْ

ولم ينس – مُقتديا بالناظم – الحديث عن كم الخبرية[57]، والمبتدأ والخبر وأحكامها[58]، وكذا الاشتغال وأركانه وشروطه[59]، مروراً بالفاعل وتوحيد الفعل معه[60]، ونائب الفاعل؛ الذي سمّاه بمالم يُسمّ فاعله[61] .

وبعدها توالى الحديث عن الأبواب النحوية المعروفة[62] ولم يضف جديداً يُذكر فيها، فتحدّث عن المفعول به، وظنّ وأخواتها، والمصدر والمفعول له، والمفعول معه، والحال والتمييز، والظرف ،والاستثناء، ولا النافية للجنس، والتعجب، وأسلوب الإغراء والتحذير، وإنّ وأخواتها، وكان وأخواتها، والنداء مع جميع أحكامه، والتصغير، والحروف الزوائد، والنسب والتوابع، وكل ما

يتعلق بها، و الممنوع من الصرف، والعدد، ونواصب الفعل المضارع وجوازمه، وأسلوب الشرط والجزاء، وختم الكلام بالحديث عن باب البناء .

وبعد ذلك شرع في شرح خاتمة الحريري التي قال في مطلعها :

وَ قَدْ تَقَضَّتْ مُلْحَةُ الإعْرَابِ مُــودّعَةً بَدَائِعَ الإعْرَابِ [63]

وهكذا استطاع محمّد باي بلعالم أن يؤلّف شرحاً موجزاً مُبسطاً على نظم مُلحة الإعراب للحريري، حيث قدّمه للمتعلّم في حُلّة مُيسرة وسهلة المنال والاستيعاب، فجزاه الله عنا وعنهم خير الجزاء .

الإحالات :

1 - صفحات من تاريخ منطقة آولف ، عبد المجيد قدي ، أبحاث للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ط2 ، 2007م ، ص 112.

2 - الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات ، محمد باي بلعالم ، دار هومة ، دط، دت ، ج1 ، ص 366.

3 - صفحات من تاريخ منطقة آولف ، ص 113.

4 - تاريخ الأدب العربي ،بروكلمان ،نقله إلى العربية عبد الحليم النجار ،دار المعارف ،القاهرة ،ط5 ،دت ،ج5 ،ص 152 .

1) 5 - يُنظر : بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، السيوطي ، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر ، ط2 ، 1979م ،ج1 ،ص 225 ،و تاريخ الأدب العربي ،بروكلمان ،نقله إلى العربية عبد الحليم النجار ،دار المعارف ،القاهرة ،ط5 ،دت ،ج5،ص153 .

6 - بغية الوعاة ،ج1 ، ص 393 .

7 - تاريخ الأدب العربي ،بروكلمان ،ج5،ص153

8 - نفسه ، ص 153 .

9 - مختار الصحاح ، محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي ، دار الكتاب الحديث ، الكويت ، ط1 ، 1993م ، ص427 .

10 - لسان العرب ، ابن منظور ،تح : عبد الله علي الكبير ،ومحمد أحمد حسب الله ،و هاشم محمد الشاذلي ،دار المعارف ، القاهرة ، باب الميم ،مج06 ،ص 4274 – 4275 .

11 - مختار الصحاح ،باب التاء ،ص 62 .

12 - لسان العرب ،باب التاء ،مج01 ،ص 424 – 425 .

13 - سورة الطارق ،الاية 6 -7 .

14 - معاني القرآن ،الفراء ،تح :إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ،بيروت ، ط1 ،2002 ،ج3 ،ص144 .

15 - منحة الأتراب شرح على ملحة الإعراب ،محمد باي بلعالم ،دار هومة ،الجزائر ،دط،2001 ،ص03 .
16 - نفسه ، ص03 .
17 - ملحة الإعراب ، الحريري ،ملتزم الطبع والنشر عبد الجليل أبو القاسم ،دط ،دت ،ص02 .
18 - منحة الأتراب شرح على ملحة الأعراب ،ص 04 .
19 - نفسه ، ص104 .
20 - نفسه ،ص 65 .
21 - نفسه ، ص 21 .
22 - نفسه ، ص 68 .
23 - نفسه ، ص72 .
24 - سُمي بالاستثناء المفرغ لأن ما قبل (إلاّ) قد تُفرَغُ لطلب ما بعدها ،ولم يشتغل عنه بالعمل فيما يقتضيه ، نفسه ،ص 82
25 - نفسه ، ص 82 – 83 .
26 - نفسه ، ص 132 -133 .
27 - الرحيق المختوم لنزهة الحلوم ، محمد باي بلعالم ،مطابع عمار قرفي ،باتنة ،دط ،دت ، ص 48
28 - منحة الأتراب شرح على ملحة الإعراب ،ص 38 .
29 - نفسه ، ص 13 .
30 - نفسه ، ص 47 .
31 - نفسه ، ص 65 .
32 - نفسه ، ص 105 .
33 - عمراً يقصد به الاسم الحقيقي لسيبويه وهو عمرو بن عثمان بن قنبر
34 - منحة الأتراب شرح ملحة الإعراب ، 105
35 - نفسه ، ص 154 .
36 - نفسه ، ص 154 .
37 - نفسه ،ص 13 .
38 - نفسه ، ص 27 .
39 - نفسه ، ص 45 .
40 - نفسه ، ص 90 .
41 - نفسه ، ص 105 .
42 - نفسه ، ص 36 .
43 - نفسه ،ص 56 .

44 - نفسه ، ص 19 .
45 - نفسه ، ص 18 _19 .
46 - نفسه ، ص 80 .
47 - نفسه، ص 03 .
48 - نفسه ، ص04 .
49 - نفسه ، ص 06 _ 07 .
50 - نفسه ، من ص 07 حتى 19 .
51 - نفسه ، ص 23 .
52 - بمعنى أن تكون مفردة ،وان تكون مكبرة لأنها لو صُغِرت أعربت بالحركات مثل جاءني أُبَيُّك ، ورأيت أُبيَّكَ، وأن تكون كذلك مضافة فلو كانت مفردة غير مضافة أعربت بالحركات مثل هذا أخٌ ، نفسه ،ص 24 .
53 - نفسه ، من ص 26 حتى 34 .
54 - نفسه ، ص 35 .
55 - نفسه ، ص 43 .
56 - نفسه ، ص 44 .
57 - نفسه ، ص 46 .
58 - نفسه ، من ص 46 حتى 51 .
59 - نفسه ، ص 52 حتى 54 .
60 - نفسه ، من ص 55 حتى 57 .
61 - نفسه ، ص 58 .
62 - نفسه ، من ص 59 حتى 156 .
63 - نفسه ، ص 156 .